مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 09 عدد: 4 السنة: 2020
ص: 266 - 277 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

النموذج اللّغوي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ مُقَاربة تَوْليفيّة.

A synthesis approach in the linguistic model of El khalil Iben Ahmed Al-Farahidi

ياسر أغا*

Yasser agha1

المركز الجامعي أحمد صالحي-النعامة- (الجزائر)

University of Naama- Algeria

yasseragha32@yahoo.com

تاريخ الإرسال:2020/04/15	تاريخ القبول:2020/07/10	تاريخ النشر: 2020/11/07

مُلخّص البحث

نحاول في هذا البحث إجراء مُقاربة لسانية (توليفية) على وجه الخصوص في النموذج اللّغوي عند الخليل، وفق منهج علمي نروم فيه قراءة المقولات اللّسانية عند الخليل بن أحمد الفراهيدي، لتفعيل الجهاز المفاهيمي لهذا النموذج على نحو تفاعلي مع المعطيات اللّسانية المعاصرة، وذلك لتحيينه وجعله قادرا على وصف الظواهر اللّغوية وفق رؤية علمية واستثمار مقولاته في تفسير مختلف الأنظمة اللّغوية.

الكلمات المفتاح : مقاربة توليفيّة- نموذج لغوي- مُعالجة لسانية- الخليل بن أحمد الفراهيدي.

Abstract :

In this research, we try to conduct a linguistic (synthesis) approach in particular in the linguistic model of El khalil , in accordance with a scientific approach in which we want to read the linguistic sayings of El khalil bin Ahmed al-Farahidi, to activate the conceptual apparatus of this model interactively with contemporary linguistic data, in order to revive it and make it able to describe linguistic phenomena according to a scientific vision and invest its sayings in the interpretation of various linguistic systems.

Keywords: A synthesis approach- linguistic model - linguistic treatment - El khalil Ibn Ahmed Al-Farahidi.

* المؤلف المرسل: ياسر أغا. البريد: yasseragha32@yahoo.com

مقدّمة:

يتعيّن على القراءة الّتي توصف بـ " الحديثة" أو " الجديدة" للتراث اللغوي أن تعيَ الخصوصيّة الإبستيمولوجية الّتي وُجدت فيها مقولات هذا التراث بمختلف مشاربه ومستوياته علما أنّ هذه المعرفة الأخيرة تُمكّن من واضع المقاربة، إجراء قراءة منهجية تستجيبُ لشروط وأساسيات المنهج العلمي القائم على الموضوعية ودقّة التّحليل، بعيدا في الوقت نفسه عن إجراء مُمارسة أيّ نوع من طقوس الإسقاط الّذي لا يُمت بأيّ صلة لهذه الممارسة المعرفية الواعية، ووفق هذا المعتقد المعرفي وإيمانا منّا أنّ منهج ما يُسمى بإعادة قراءة التراث يحاول بنواياه الصّادقة إخراجَ هذا الأخير في حلّة تتماشى والمقولات المعرفية المعاصرة، ارتأينا أن نعرض لمحاولتنا القرائية وفق جهازها المفاهيمي- الإجرائي- أن نستنطق من خلالها المضمرات العلمية لهذا التراث اللّغوي (الخليلي على وجه التحديد) كاستشرافٍ يُسهم في بلورة المدونة اللغوية كافة وإعادة تنميطها وفق مستجدات لسانية تسعى للكشف عن أدوات معرفية جديدة تساعد في تحليل اللّغة، وأشكالها الدّلالية وفق أدوات إجرائية وطرق تحليل يجمعها معيار (الموضوع والمنهج والغاية).

1-نحو مُقاربة تَوْليفيّة.

يُعدّ النّحو التوليفي من الأنحاء اللّسانية المعاصرة الّتي شهدت تطوّرا في رؤيتها لأنظمة الاستعمال اللّغوي، حيث قامَ صاحب هذا المشروع (الدّكتور محمّد الأوراغي) من خلال مشروعه (اللّسانيات النّسبية)[1]، إعادة النظر في كثير مِنَ المسلّمات والمعطيات المعرفية، جعلته يقيم قراءة لسانية مبنيّة على نظر علميّ في المُدوّمة اللّغوية (النّحوية خصوصا)، حيث قامَ باقتراح نموذج لساني أطلقَ عليهِ (النّحو التوليفي) وهذا الأخير يُعدّ وليد نظريّة اللّسانيات النسبيّة، اجتهدَ فيه صاحبه في وضع نموذج نحويّ جديد يقومُ على وصف اللّغة العربيّة وصفا علميّا، ليستلزم فضلا عن الاستجابةِ لنظريّة لسانية وحبكٍ لبنيته الدّاخلية، حيث أخضعَ نحو اللّغة العربيّة التوليفي لسلسلة من الاختبارات التّطبيقيّة الّتي تكشف قدراته العلميّة المحصورة أوّلا في مجال وصف اللّغة العربيّة، وثانيا في استخدامِ وصف العربيّة الجديد في مختلف الحقول المعرفيّة المُجاورة[2]، وقد تسنّى له ذلك من خلال وسائل اختبار تُثبت قدرة النّحو العمليّة على الوصف العلمي للّغة العربيّة، واستثمار مفاهيمه الإجرائية في وصف ظواهرها.

يقوم نموذج نحو التّوليفي على عدد مِنَ الفصوص اقترحها الأوراغي لوصف العربيّة وتفسير أنظمتها اللّسانية ومختلف ظواهرها، وسنذكرها اختصارا وتبيانا لوظيفتها وكيفية اشتغاله[3]ا:

1- **الفص النَّصْغي**: تنحصرُ مهمّته في إمداد المُعجم بمقولات المداخل المعجميّة الأصول وبالصّيغ المعجميّة الأصول أيضا، ويتألّف من مكوّنين: الأوّل نطْقي يضمّ عددا غير محصور من الصّوامت والصّوائت، والثّاني مكوّن نَصْتي يضمّ قواعد التأليف، ويسعى هذا الفص أيضا في إمداد الفصّ التّحويلي بالصّيغِ الصّرفيّة الّتي بواسطتها يتمّ تحويل المداخل المعجميّة الأصول إلى مداخل فروع.

2- **الفصّ المُعجميّ**: يستلم من الفصّ السابق الجذور والصّيغ الأصول لإفراغها في الصّيغة القالب، ويكونُ النّاتج قَولَةً منطوقة مسموعة، وهي جاهزة للاقتران بالكلمة المفهومة لتكوين مدخل معجمي.

3- **موقع الفصّ التّحويلي ووظيفته**: موقعه الفصّ المعجمي ويتألف من مكوّنينِ اثنين: مكوّن اشتقاقيّ؛ محتواه قواعد اشتقاقيّة ذات طبيعة دلاليّة لتوليد بعض الكلمات المفهومة، ومكوّن صرفي؛ محتواه قواعد بنائية ذات طبيعة صوريّة لنقل قَولِة المدخل من صيغة وزنيّة إلى أخرى منها.

4- **الفصّ التركيبي**: يقوم هذا الفصّ بشكل عام على تفسير الجملة من حيث بنيتها المكوّنيّة والإعرابيّة والمؤقعيّة وعلاقاتها الدّلالية والتّداولية[4].

هذا تعريف بسيط لمكوّنات نموذج النّحو التَوْليفي ولم نشأ الاستطرادَ والتعليق لأنّ المجال فيها واسع ، يقتضي منّا منهجيّا عرض مشروع اللّسانيات النسبية كمبرر منهجي للانتقال لجهاز هذا النّموذج وسيأخذ منّا مساحةً واسعة واستطرادا مفاهيميّا ينزاح بنا عمّا نحن بصدد معالجته، وإنّ المتأمّل في مكوّنات هذا النّموذج سيُلاحظ للوهلة الأولى الحمولة المفاهيميّة المكثّفة الّتي تحملها مصطلحات ومفاهيم هذا النموذج اللّساني وهذا ليس بغريب لأنّ لكلّ نظرية منهجها الخاص ومصطلحاتها ومفاهيمها الخاصّة بها، وغايتنا ليس الوقوف لعرضها وإعادة تحليلها بل الهدف هو الانطلاق من عناصرها المنهجيّة (البناء الدّاخلي للنموذج، مُعالجة المعرفة اللّغوية، اللّغة الاصطلاحية الواصفة) بوصفها اشتغالا لسانيا لمحاكمة النماذج اللّغوية العربيّة ، ننطلق منها لمقاربة النموذج موضوع الدّراسة (النموذج اللّغوي عند الخليل) وعليهِ فإنّنا نقترحُ هذه المقاربة ليس

لإقامة نحوٍ بديل بقدر ما نجعلها أداةً منهجيّة لإعادة قراءة هذا النموذج موضوع الدّراسة، وذلك لإحراز هذه الكفايات الثلاث: (الوصفية، والتفسيرية، والنّفسية)، لغرض تطوير جهازه المفاهيمي والعلميّ ذلك أنّ هذا النّموذج اللّغوي يُضمر داخله أنحاءً ضمنيّة تحتاجُ منّا وفق استقراء منهجي إعادة صياغة حمولتها المفاهيمية على نحوٍ إجرائيّ لجعلها قادرة على وصف اللّغة العربيّة.

وعليهِ نقترحُ هذه الخُطاطة الآتية لإجراء هذه المُقاربة المكوّنة من هذه العناصر المتّصلة تماشيا مع مقترح النّحو التَوْليفي:

1-البناء الدّاخلي للنموذج:

يُقصد به في النحو التوليفي " تنظيم الظّواهر اللّغوية موضوع المعالجة "[5] وبناء النموذج يُعدّ من صميم العمل العلمي حاليا ويظهر لنا هذا في الأنحاء اللّسانية المعاصرة مثل النحو التوليدي والنحو الوظيفي وغيرها، لأنّ تنظيم الظواهر اللّغوية المعالجة بقدر ما يكون تاما في النماذج النحوية المبنية بناء اللّغة، قد يكون جزئيا في الأنحاء غير المُنظّمة تنظيما داخليا[6]، ويقتضي هذا البناء ضرورة تصنيف المستويات إلى موضوعات مستقلّة في حدّ ذاتها، لكلّ مستوى وظيفته المنوطة به مثل المستوى الصّوتي والمُعجمي والنّحوي، إذ تلعبُ في مجموعها وحدة كلّية تمثّل بناء النموذج اللّساني العام.

2-مُعالجة المعرفة اللّغويّة:

تُعدّ مُعالجة المعرفة اللّغوية مِنَ المقاييس العلميّة والمنهجيّة الّتي اعتمدها النّحو التوليفي لمقاربة النماذج اللّغوية التراثية، والمقصود بها كيفية استقراء مجموع المعارف اللّغوية المُتحصّل عليها لبناء نسق نظريّ يقتنص المعرفة النّسقيّة المتميّزة باليقين الرّياضي والحقّ الوجودي[7]، والهدف من وراء هذا كلّه وضع معالجة موضوعيّة قائمة على منهج علميّ تكون نتائجه دقيقة غير متفاوتة، لتجاوز المنهجيّة الكلاسيكيّة الّتي تختلف نتائجها باختلاف المعرفة المستنبطة.

3-اللّغة الاصطلاحيّة الواصفة:

المقصود بها وضوح العبارة الواصفة للمضامين اللّغوية، ويتحقّق هذا المطلب من خلال تبسيطِ الوصف وتقريبِ الموضوع من الأذهانِ، ولا يحتاج لترابطه المنطقيّ إلى جهد كبير من أجل اختزانِ مفاهيمه في الملكة الذّهيّة المكلّفة بالتّذكير[8]، واللّغة الاصطلاحية من شروطِ بناء النماذج اللّغوية، وهذا المقياس عُرف قديما في المدارس النّحوية مثل اختصاصهم في وضع بعض المصطلحات مثل

"الجرّ " عند البصريين ويقابله الخفض عند الكوفيين، وغيرها من المصطلحات التي كانت من أولويّات النحويين، والشرّاح أثناء قراءاتهم للمعرفة النحوية.

2-إجراء المُقاربة:

2-1-البناءُ الدّاخليّ للنّموذج:

نشتغل على مفهوم البناء الدّاخليّ للنّموذج كونه يُعدّ " تنظيما للظّواهر اللّغوية موضوع المعالجة"[9] وهذا الأمر يُعدّ من صميمِ العمل العلميّ، وإنّ تأمّلنا في البناء الدّاخلي للنّموذج اللّغوي عندَ الخليل بن أحمد الفراهيدي جعلنا نُدرك على وجه الاستقراء أنّ البناء الدّاخلي لهذا النّموذج لم يتمّ بشكل نهائي مُحدّد؛ ذلك أنّ منواله المعرفيّ قام على استقراء الظاهرة اللّغوية وفق نسق شموليّ، حيث نجد أنّ الخليل أثناء تحليلاته اللّسانية لبعض الظواهر يُفاعل بينَ مُستويات بَيْنِيّة داخل النّسق اللّغوي نفسه مثل مُعالجته لبعض الظّواهر المورفولوجيّة بتفسيرات صوتيّة يمازج بينها مع مقولات نحويّة لتفسير بعض الأنماط الاستعماليّة للّغة، ويمكننا على وجه المقاربة وسمُ هذا البناء بوصفه بُعدا منهجيّا في النّموذج اللّغوي عندَ الخليل، ما تضمّنته مُقدّمة مُعجم العين من مادّة صوتيّة قائمة بذاتها، يُمكننا عدّها في هذا المقام مؤشرا لفكرة (البناء الدّاخليّ للنّموذج) إضافة إلى ما تضّمنته الأبواب الأخيرة من مُعجم العين من مادّة صرفيّة عالجَ فيها الخليل بعض الصّيغ مُعلّلا حدوثها، وعليه يمكننا القول إنّ إعادة البناء الدّاخلي للنموذج الخليلي يمكننا الشّروع فيها من خلال وضع مقولات تصنيفيّة تختصّ كلّ واحدة منها عبر مجموعات وظيفيّة للمستوى اللّساني الّذي تنتمي إليه: (مقولات صوتيّة- مقولات صرفيّة- مقولات نحويّة- مقولات معجميّة)، وبهذا يُمكننا تحديد البناء الدّاخلي للنموذج اللّغوي عندَ الخليل.

2-2- مُعالجة المعرفة اللّغوية :

من حيث المنهجيّة المُستخدمة لمعالجة المعرفة اللّغوية في النموذج اللّغوي عندَ الخليل تبيّن لنا أنّها قامت على نزعة نمطيّة معمول بها في جمع المُعطيات اللّغوية (سماع النصوص الفصيحة) وإخضاعها للمُعالجة العقلية، وهي بهذا الشّكل لم تخرج عن النّمط المنهجي السّائد آنذاك، بوصفه معيارا منهجيا لمعالجة المعرفة اللّغوية في شكلها الكُلّي، إلّا أنّ المنعطف المنهجي في مُعالجة المعرفة اللّغوية في النموذج الخليلي تمثّل في تلكَ الخلفيّات التقنية التي استعانَ بها الخليل لمعالجة الظاهرة اللّغوية، مثل اعتماده على القوانين العقلية المُتمثّلة في القياس والتعليل لتفسير ما تكلّمت به

العرب وما جرى على ألسنتها إضافة إلى مُمارساته الحِسابية الّتي أتت على شكل مُتواليات رياضيّة يُمكن اختصارها في قانون (التبادل والتقاليب) لحصر أوجه اللّفظ ، أضف إلى ذلك ذلك سمة التّصنيفِ الّتي عُرف بها هَيْكل مُعجمه العين (الترتيب الصوتيّ) مُرورا بعد ذلك إلى مُعالجته الفريدة لأحد أنماط الكلام العربي (الشّعر العربي) من خلال إقامته جَدْولة للبحور الشّعريّة العربيّة.

2-3-اللُّغة الاصطلاحيةُ الواصفة:

نسعى من خلالِ هذا العنصر وهُوَ ما سنتبيّنه في المحطّة الثانية من سمات المُقاربة إلى الكشفِ عن العبارة الواصفة في النموذج اللّغوي الخليلي، ومدى تطابق مضامينها مع الواقع اللّغوي، وجعلها في المقامِ نفسه موضوعا للمُقايسةِ مع مقولات النّحو التَوْليفيّ لبيانِ قُدرتها التفسيرية في مُعالجة الواقع اللّغوي، ولتطوير جهازها المفاهيمي لأجل أن يكون قادرا على وصفِ اللّغة وصفا علميّا، حيث يُمكننا توظيف واستثمار نتائجه في قطاعات إجرائية تُستخدم فيها اللّغة كمجال لتأدية العديد من الأغراض والأهداف.

3-سمات المُقاربة التَوْليفيّة في النّموذج اللّغوي عند الخليل.

نشتغلُ على هذه السّمات المُقترحة في إطار النّحو التَوْليفي بوصفها معيارا منهجيّا لمقاربة النّماذج اللّغوية القديمة، كونها تُعدّ مُقاربة تسعى وفق آليتها القرائية لتقويمِ المعرفة اللّغوية التراثيّة وفق منهجيّة تُوفّر إمكانية وصف العربية على نحوٍ جديد، وعليه سنتبيّن كلّ سمة ومدى توافرها في النّموذج موضوع الدّراسة (النّموذج اللّغوي عندَ الخليل) لمقاربتها وفق ما يقترحه لنا النّحو التوليفي، لسنتكشف حركة هذه السّمات داخل الحمولة المفاهيمية للنموذج اللغوي عندَ الخليل.

3-1-التَّصنيفُ المقوليّ:

ننطلقُ من هذه السّمة في إطار النّحو التَوْليفيّ " لإبرازِ علاقة الانتظامِ القائمة بين فصوص اللّغة وعلومها "[10] في النّموذج موضوع الدّراسة " النموذج اللّغوي عندَ الخليل " ومن أولى المُلاحظات الّتي يُمكن رصدها في هذا الجانب وجود تفاوُتٍ في تركيبِ الأنساق النّظرية في النموذج اللّغوي عندَ الخليل، حيث إنّ تصنيفَ المقولات بوصفها حمولات مفاهيمية تحتلّ المرتبة الأولى في بناء الأنحاء أو النماذج اللّغوية، ويُمكن في إطار المُقاربة التَوْليفيّة أن نُسجّل مُلاحظاتٍ تخصّ النّسق المفاهيمي لهذا النّموذج مُرتبطة في المقام نفسه بمنهجيّة استقراء المعرفة ولغة الوصف ومدى ارتباطها بالواقع اللّغوي، وهي كالآتي:

أ–تصنيف المقولة:

يمكننا تصنيف المقولة في النموذج اللّغوي عندَ الخليل وإعادة صياغتها وفق المقاربة التَوْليفيّة، من مُنطلق مبدأ الأكون الثلاثة (كوْن وُجودي/ كوْن ذهني/ كَوْن لُغوي) بواسطة علاقة رياضيّة في دوالٍ محصورة منطقيّا تُوجّهها المعرفة الكَسْبيّة الّتي تُطابق واقع هذه الأكوان، وعليه فإنّ الصّياغة الجديدة لهذا النّموذج وفق هذه المُعطيات تكون بإعادة تصميم التّركيب وتخصيص كلّ قسمٍ بوسيلة مُتّبعة منهجيّا لمعرفته (مقولات صوتيّة– مقولات صرفية– مقولات نحوية– مقولات معجميّة– مقولات دلاليّة) وتحقّق مبدأ الأكوان يكون بتفعيل وحداتها وجعلها بِنيات مُستعملة تربطها علاقة وظيفيّة بالمُجتمع اللّغوي، وأمثلة ذلك على سبيل المثال في المقولات النّحوية أن يحقّق النّسق النّحوي مبدأ الرّبط الوظيفي بينَ المقولات المعجميّة من جهة والتركيب من جهة أخرى شريطة عدم إهمال وظيفة أيّ كَوْنٍ من الأكوان المذكورة آنفا .

ب–إجراء المقولة:

يكونُ إجراء المقولة بتعريف " كلّ مقولة بخصائصها الدّلالية وبسلوكها في البنية المكوّنية للجملة "[11] كأن يراعى إعادة النّظر في بعض الحدود المُصطلحية غير المُستوفية لشروط الوصف الدّقيق مثل مصطلح (الاسم وأسماء الاشارة) مثلاً في النموذج اللّغوي عند الخليل، وإعادة تنميط بعض المقولات مثل (باب الإسناد) وجعله من صميم الجُملة النواة.

3–2–الوسم الصّوري

الاشتغال على هذه السّمة يكمن في إيجادُ علاقة تأليفيّة تكون مصدرا لاستخلاصِ خصائص الانتماءِ الدّالة على تبعيّة ما في الكون الذهني إلى موقع (الاستعمال) في البنية النّواة، بتعبير آخر أن ننتقل من التصوّر المُجرّد القائم على خصائص صوريّة، إلى الكَوْن الموضوع القائم على سمات تأليفية ذات بعد وظيفي، ومقاربة هذا الوَسْم التَوْليفي في النموذج اللّغوي عندَ الخليل على سبيل التمثيل يمكن توضيحها في الحمولة المصطلحية بوصفها مُسمّيات دالّة على مفاهيم "لغوية " معيّنة ومخصوصة بالوَصْف، حيث إنّ لغة هذه الحُمولة المصطلحية في هذا النّموذج ذات طبيعة صوريّة يتوقّف وصفها الصّوري عندَ سردِ الخصائص البنيوية للموضوعات اللّغوية، وأحيانا يكتفي بسرد السّمات العامّة، ومن أمثلة ذلك عندَ الخليل قوله رحمه الله في تعريف الرّفع : "والرَّفْعُ نقيضُ الخَفْضِ "[12]، ولعلّنا نُلاحظ هذه اللّغة الواصفة في النموذج اللّغوي عندَ الخليل، ليست

باللّغة الاصطلاحية المُستوفية لشروط الوصف الدّقيق، حيث لجأ إلى تعريفه بالضدّ أو النّقيض، ويقترحُ النّحو التوليفي مفهومًا اصطلاحيا للرّفع على أنّه "حالة تركيبيّة عارضة، عاملها علاقة الإسناد وقابلها ما يحلّ مِنَ الكلمِ في نواة الجُملة، وعلامة حالة الرّفع الضمّة المنطوقة في صورة تَنْوين أو تفريد أو ما قد ينوبُ عنها، وتكون الضمّة علامة الرّفع ظاهرة على حرف الإعراب في آخر الكلم أو مُقدّرة عليهِ لمانع صوتيّ"[13]

يمكننا القول مِن مبدأ المقايسة والمقاربة بين النموذجين (الخليلي) وَ (التَوْليفي) من خلال هذه اللّغة الاصطلاحية، أنّ مقاربة هذه المقولة كنموذج، يجب أن يتعدّى هذا الوصف إلى ربطِ الخصائص البنيوية بالمعاني الدّلالية والأغراض التّداولية، وذلك لتحقيق شموليّة اللّغة وتحليل خصائص بنية الموضوع اللّغوي على نحوٍ وظيفي له رابط منطقي من حيث مبدأ الأكوان الّذي ذكرناه آنفا، والمثال الّذي انتخبناه (مفهوم الرّفع) من النموذج اللّغوي عندَ الخليل يُعدّ مثالاً بسيطا تطلّب منّا النّظر في مكوّنه المفهومي، والأمثلة الّتي تحتاجُ منّا وقفات مُقارباتيّة كثيرة وحافلة في هذا النموذج مثل المقولات التركيبية كالقياس والتعليل وغرضنا من اقتراحِ هذهِ المُقاربةِ هُوَ تطوير النّموذج الخليلي في مُعالجته لظواهر اللّغة وأشكالها الدّلالية، وتفعيل النموذج المُطوّر يكون بالانتقال بالانتقالِ مِنَ البناء الاستدلالي لتفسير النسق الصّوري للّغة، إلى نسقٍ منطقيّ يسعى لصياغة الظّواهر اللّغوية بشكل مُفعّل يُراعي الخصائص الدّلالية والتداولية الّتي يقوم عليها منطق استعمال هذه اللّغة.

3-3-العَامِلِيَّة:

فكرةُ العامليّة بالتأمّل الدّقيق تشكّل المحور الرّئيس الّذي قامَ عليهِ النّموذج اللّغوي عندَ الخليل كأداة من أدوات التفسير كونها تُمثّل " مفهوما ديناميّا يُبنى عليهِ المُستوى التركيبي للّغة فبفضله يستطيع اللّغوي أن يرتقي إلى مُستوى أكثر تجريدا من المستويات السّفلى، الّتي تحتوي على الوحدات الخطابية ومقوّماتها القريبة"[14]، ومن ناحية الضّبط المنهجي الّذي نتوخّاه في هذه المُقاربة وخصوصا في هذه السّمة المقولية (العامليّة) موضوع المقاربة ارتأينا أن نشتغل عليها وفق منظور وظيفي توجّهه السّمات العامّة لمقولات النّحو التوليفي بحيث يخدم طرحنا الّذي يتوسّم فكرة تطوير هذا النّموذج، وهذا الاشتغال نصفه بالجديد والمُحدث استنادًا لاطّلاعنا القاصر أنّنا

لم نجد دراسة أو بحثا فعَّل هذا الاشتغال في مقاربته لهذا النموذج موضوع الدّراسة (النّموذج اللّغوي عندَ الخليل).

وبناء عليهِ نقترحُ هذه المحطات المنهجيّة لأجل وضع هذه المقاربة وأجرأةِ مفاهيمها كحمولة مُقترحة لأجل تفسير عوارض اللّغة ومظاهرها اللّسانية، وهي كالآتي:

3-3- 1-تراتبيّة النّسق العاملي:

يمكننا إجراء تراتبيّة النّسق العاملي كمقترح توليفيّ للكشف عن التمثيل المنطقي الدّلالي لعناصر التّركيب اللّغوي في هذا النموذج موضوع المقاربة، والّتي تمثّل علاقات قائمة فيما بينها، يحدّد بها دلالة اللفظ.

وانطلاقا مُن معطيات العامل في النموذج اللّغوي عندَ الخليل يتمّ إجراء هذه التراتبيّة في هذه المعادلة (علاقات تركيبية+ وسيط العلامة اللّغوي) بحيث يتكوّن الأوّل من علاقتينِ تعملانِ بالتّتابع أولاهما:

علاقة الإسناد: موقعها في نواة الجُملةِ بينَ عُنصري المُسند والمُسندِ إليهِ وعملها حالةُ الرّفع في الطّرفينِ.

وثانيها **علاقة الإفضال:** موقعها بينَ نواة الجُملةِ وفضلتها، وعملها بعدَ عمل علاقة الإسنادِ وأثرها هُو حالة النّصب في الفضلات، والعلاقتان التركيبيتان من كلّياتِ اللّغة البشرية؛ بمعنى لا تقومُ الجملة في أيّ لغةٍ بشريّة من غير انتظامِ مكوّناتها بتنيكم العلاقتين ويُشكّل وسيطُ العلامة اللّغوي عاملا وضعيّا يخصّ اللّغات التوليفيّة مثل العربية ونحوها من اللّغات البشرية، ويكون اشتغاله بعدَ انتهاء العلاقتينِ التركيبيتينِ من عملهما[15]

بناءً على هذا الكشف المفهومي فيما يقترحه لنا النّحو التَوْليفيّ، يمُكننا تمثّل نسقه الأوّلي وفقَ هذه الخُطاطة الآتية[16]:

1	2	3
∅	زيدٌ	قائمٌ
إنّ	زيدًا	قائمٌ
كان	زيدٌ	قائمًا
حسبت	زيدًا	قائمًا
أعلمت عمْرًا	زيدًا	قائمًا

حسب هذه الخُطاطة فإنّ العناصر الموجودة في العمود (**1**) لفظة كانت أو تركيبا تُسمّى عاملا لأنّها تؤثّر على بقيّة التركيب، أمّا العناصر الموجودة في العمود (**2**) تعدّ معمولات الأولى، ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن تُقدّم على عاملها، ولهذا يشكل كلّ واحد منها مع عامله (زوجا مُرَتَّبا- couple ordonné)، في حين تشكّل العناصر الموجودة في العمود (**3**) معمولات ثانية قد تتقدمّ كلّ العناصر إلا في حالة جمود العامل،أمّا العنصر (المشار إليه بـ ∅)؛ فهو خلوّ موضع العامل من العنصر الملفوظ، وهُوَ ما يُسمّى بالابتداء، وهو عدم التّبعيّة التّركيبيّة، وليس معناه بداية الجملة كما يعتقد بعضهم والإجراء المنهجي لهذه الحمولة انطلاقا من العلاقتين (علاقة **الإسناد** و**الإفضال**) يمُكّننا مِن تحديدِ الأنماطِ الجُمَلية الّتي تُعدّ بمثابة النّموذج الّذي على أساسه يُنتج المُتكلّم عبارته عن طريق وسيطٍ لغويّ يُعين المتكلّم في وصلِ كلامهِ بأثر مِنَ العاملِ، وفكرة الوسيط اللّغوي الّتي تُعدّ جزءا جوهريّا في تراتبيّة هذا النّسق ، أتت على شكل فكرة مُبلورة في النموذج اللّغوي عندَ الخليل وفق نظرته الصّوتية الّتي تقرّ أنّ الحركات الإعرابيّة تفسّر وظيفيّا كمؤثّر خارجي تحدّده هذه الحركات أو بنيوي يحدّد الشّكل الإيقاعي لاستعماله بعض الظواهر التركيبيّة كالإشمام ، وهذا الوسيط الطارئ لم يتمّ التطرّق إليه في النّحو التوليفي .

والأنماط الجُملية المنتجة وفق تلك العلاقات ودور الوسط اللّغوي، تجوّز لمستعمل اللّغة مسافة اختياريّة يتمّ تصوّرها في البنية العامليّة وتمثّلات هذا العنصر العاملي في النّموذج اللّغوي عندَ الخليل يكمن في تقديره للعوامل المحذوفة والمفترضة، الّتي تُقدّر استنادًا للمعنى الّذي يقتضيهِ السّياق مثل النّصب على المدح أو الذّم، والشّاهدُ في هذا ما نقله سيبويهِ في تعليق الخليل على بيتِ ذي الرمّة حيث يقول : " زَعَم الخليلُ أنّ نصبَ هذا على أنّك لم تُرِد أن تحدّث النّاس ولا مَن تُخاطب بأمر جهلوه ولكنّهم قد علموا من ذلك ما قد علمتَ فجعله ثناءً وتعظيماً ونصبُه على الفعل كأنّه قالَ: اذْكُر أهلَ ذاك واذكُر المُقيمين، ولكنّهُ فعلٌ لا يُستعمل إظهاره "[17]

من خلالِ هذا التعليق التفسيري الّذي بيّنه الخليل يتوضّح لنا مدى مُراعاة بيان مكان المقدّر في البنية العامليّة أثناء تحديدها للعلاقات الحادثة في الأشكال الكلامية.

3-3-2-دلائليّة الوظيفة:

نقصدُ بها تلكَ الانتظامات المحتملة الّتي تُنتجها البنية الوظيفية للجملة، وتأمّلا في بعض المقولات اللّسانية في النموذج اللّغوي عندَ الخليل، رصدنا اشتغال الخليل وتحليله لهذه الانتظامات،

وفق نسق عامليّ، مكّنهُ مِنَ الكشفَ عن نسق البُعد التّداولي للعاملية العلاقية وكيفية إجراء عناصرها.

شاهد لساني:

- " وزعمَ الخليل: أنَّ لا جرمَ إنّما يكونُ جوابا لما قلبها مِنَ الكلامِ، يقول الرّجل كانَ كذا وكذا فتقول: لا جرمَ أنّهم سيندمون أو أنّه سيكون كذا وكذا."[18]

الصيغة العامليّة لـ: لا جرمَ هُنا وفق التصوّر الخليلي تأتي لتحقيقِ علاقة التوازي البنيوي بينَ القوائم المقوليّة لتحقيق المعنى التداولي الّذي تلعبه البنيات الوظيفيّة المشكّلة لهذه الجُملة، وهذه البنية المؤوّلة تُعدّ مدخلا مُعجميّا بحيث تلعب دورا تأويليّا يتكفّل في ملء المسافة العامليّة وفق بنيات لغوية مُنتجة، تتأسس عبر قواعد صوتية وصرفيّة.

وفق المقاربة التوليفيّة يمكننا استثمار هذا الشّاهد بوصفه مثالا لسانيا يُحدّد أحد نماذج الاستعمال الّتي اشتغل عليها الخليل وغيره من النماذج المعيارية، أنّ ترتيبَ مكوّنات الجُملة يكون من اختصاص العامل التّداولي، وهذا الأخير يعدّ من المعطيات الضّمنية لم يبح بها النموذج الخليلي، ومن خلاله يتمّ تشغيل المستوى المقولي وفق مكوّنات الترتيب والدّلالة في افتراض تصوّر جديد لبناء جُمل ذات نمط وظيفي، تلعب مكوّناتها الحرّة رتبا مؤقتة لتأدية أغراض تخاطبيّة، كما يُمكننا استثمار سمات هذه المقاربة لأجل تطوير هذا النموذج اللّغوي مثلاً في تحليلاته لعلاقات الإسناد وأحوال الفعل وثنائية البناء والإعراب، بوصفها مقولات مكوّنية حفل بها نموذجه اللّغوي، تمثل مقولات استشرافية وفق هذه المقاربة لما تتمتّع به من كفاية تفسيريّة يحظى بها جهازها المفاهيميّ في شكله الكُلّي.

خاتمة واستنتاج

يتأسّس النموذج اللّغوي عندَ الخليل على منهج علميّ خاص في النّظر إلى عوالم اللّغة وأنظمة الدّوال، والعلمُ بطبيعة هذه الخصوصيّة المعرفيّة لا يجدر على الباحث أن يتجاوزها في كشفه عن منهج وسمات هذا النّموذج، لإقامة قراءته وضبط اشتغاله ووضع مُقارباتهِ للكشف عن طبيعة المُستويات الّذي تناولها هذا النّموذج، في تحليله للظواهر التركيبيّة، وإنّ إقامتنا لقراءة لسانية وسمناها بالجديدة للنموذج اللّغوي عندَ الخليل بوصفها مُقترحا منهجيا، لم ننوِ بها إقامة نموذج لغويّ بديل، بل أردنا من خلالها تفعيل الجهاز المفاهيمي لهذا النموذج وذلك بتحيين مقولاته

واستثمارها على نحو تفاعلي مع المعطيات اللّسانية بنماذجها المنهجية الحديثة، لجعلها قادرة على وصف اللّغة، ومُعالجتها على نحو علميّ لرصدِ مُختلف الظّواهر اللّسانية المتعلّقة بهذه الآلة المسؤولة عن التمظهرات اللّغوية.

هوامش

[1]: ينظر، محمّد الأوراغي، **الوسائط اللّغوية؛ أفول اللّسانيات الكليّة**، منشورات الاختلاف-الجزائر، ط2، 2013.

[2]: ينظر، محمد الأوراغي، **مُحاضرات في تطبيقات النّحو التّوْليفيّ**، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2018.

[3]: المرجع نفسه، ص: 16،24.

[4]: محمد الأوراغي، **مُحاضرات في تطبيقات النّحو التّوْليفيّ**، ص: 18،24.

[5]: المرجع نفسه ، ص: 117.

[6]: المرجع نفسه، ص: 117.

[7]: المرجع نفسه، ص:: 118.

[8]: المرجع نفسه، ص: 118،152.

[9]: المرجع نفسه، ص: 117.

[10]: المرجع نفسه ، ص: 120.

[11]: المرجع نفسه، ص: 122.

[12]: الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين**، 2/ 125، مادّة: (رفع)

[13]: محمد الأوراغي، **مُحاضرات في تطبيقات النّحو التّوْليفيّ** ، ص: 127.

[14]:التواتي بن توابتي، **المدارس اللّسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الواعى للنشر والتوزيع, الجزائر** ص: 102.

[15]: محمد الأرواغي، **مُحاضرات في تطبيقات النّحو التّوْليفيّ** ، ص: 150.

[16]:عبد الرحمن الحاج صالح، **بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية** ، 1/ 223.

[17]:المرجع نفسه،46/2.

[18]: المرجع نفسه، 105/3.